

الواجب نحو أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر فضائلهم.

[فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول صلى الله عليه وسلم؛ كما وصفهم الله به في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر: 10] وطاعة النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: { لا تسبوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه } أخرجه البخاري برقم (3673) في فضائل الصحابة، باب: "قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم برقم (2540) في فضائل الصحابة، باب: (تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ". عن أبي هريرة رضي الله عنه . ويقبلون ما جاء به الكتاب والسنة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم [. (الشرح) قوله: (فصل: ومن أصول أهل السنة والجماعة سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم...):] هذا الفصل تكلم فيه المؤلف رحمه الله عن الصحابة وأطال فيه وفضل. والسبب في ذلك أن الرافضة ابتلوا بسب الصحابة، وتسلبوا عليهم، فصاروا يكفرونهم ويصلونهم. وحيث إن الصحابة هم الواسطة بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم، فإن الطعن فيهم طعن في الشرع كله؛ وذلك لأننا بواسطتهم عرفنا الإسلام، فهم الذين نقلوا لنا القرآن، ونقلوا لنا الأحاديث بعد أن سمعوا من النبي صلى الله عليه وسلم، وهم الذين نقلوا الأعمال التي عملها الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة في زمنه، فهم الذين نقلوا لنا الحلال والحرام والفرص والواجب والمستحب والمكروه، وهم الذين نقلوا لنا الأذان على هذه الهيئة، والمواقيت على تلك الكيفية، والصلوات على هذا العدد وكذلك بقية الأعمال، كالصوم والجهاد والحج وما أشبهه. كل ذلك إنما تلقاه المسلمون بواسطة صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلما كان كذلك كان الطعن عليهم طعناً في الإسلام، وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالتبليغ لمن بعدهم وقال: { ليلغ الشاهد منكم الغائب } أخرجه البخاري برقم (67، 105) في العلم، باب: "قول النبي صلى الله عليه وسلم: رب مبلغ أوعى من سامع. ومسلم برقم (1679) في القسامة، باب: "تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال عن أبي بكر رضي الله عنه. وقال: { بلغوا عني ولو آية } أخرجه البخاري برقم (3461) في الأنبياء، باب: "ما ذكر عن بني إسرائيل " من حديث حذيفة رضي الله عنه . وحيث إن الصحابة هم الذين قرعوا القرآن بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذلك سمعوا أحاديثه، ورأوا أفعاله وأعماله ونقلوها لمن بعدهم، وتقبلتها الأمة التي نقلت عنهم، فإن إجماع الأمة على تقديهم وعلى قبول رواياتهم، تركية لهم. فالتابعون قبلوا منهم فدل على أنهم أهل أن تقبل منهم رواياتهم، وكذلك أتباعهم وبنوهم قبلوا منهم وزكواهم، ثم اتفق أئمة الجرح والتعديل على أن الصحابة لا يجوز الطعن فيهم، تقبل رواياتهم كلهم، فقالوا: إن الصحابة كلهم عدول، فليس في الصحابة من يُطعن فيه، لا في عقيدته، ولا لبدعة فيه، ولا لسوء حفظ، ولا لتهمه بكذا، بل مع كثرة التبع لأحاديثهم، شهدوا لهم بأنهم أهل العدالة والأمانة والذكاء، والحفظ والصدق، فلم يردوا رواية واحد منهم متى ثبتت عنه، فتزكية الأمة لهم دليل على عدالتهم. أما أسباب الطعن فيهم فقد حدثت من الرافضة، وكان الرافضة أولاً ما بلغوا إلى درجة السب واللعن، كان منبهم من العراق وذلك لأنه في زمن بني أمية، ابتلي بعض الولاة بسب علي رضي الله عنه على المنابر، وبتقصه وعيبه، وبتزكية ولاه بني أمية والشهادة لهم، فكان هناك بعض من يحب علياً محبة شديدة من أهل العراق الذين أسلموا على يديه، وتعلموا على يديه، فكانوا يسمعون هذا السب وهذا اللعن فيسوءهم ويحزنهم، ولا يجدون مجالاً للإفصاح بما في نفوسهم، ولا يستطيعون الرد على أولئك الولاة والأمراء مخافة الضرب والتعذيب. ففكروا في إنشاء جماعات فيما بينهم، يجتمعون في بيت أحدهم، ويتذاكرون فضائل علي رضي الله عنه وأثاره الحسنة ومزاياه، ثم دخل معهم بعض الجهلة، وصاروا يسمعون هذه الفضائل ثم أخذوا ينقلونها إلى غيرهم ممن هم على نكثتهم، وكان من بين هؤلاء من استحل المبالغة والكذب والزيادة، وحملتهم محبتهم لأهل البيت- علي وذريته- على أن يزيدوا، فزادوا في فضائله وفضائل أهل بيته ما ليس بصحيح، فسمع هذه الأكاذيب بعض الجهلة والدهماء فاعتقدوا أنه أفضل من الخلفاء، فعند ذلك طعنوا في الخلفاء، وأصبحوا يتبعون أخطاء الخلفاء أو ما يظنونهم هم أخطاء ويطعنون عليهم بسببها، ثم زاد الأمر، فلم يتركوا واحداً من الصحابة إلا سبوه وكذبوا عليه، ورموه بمفتريات وطمعنوا فيه بطعون. فمنهم من وصل طعنه إلى الخلفاء الراشدين، وسببنا في هذه العقيدة- إن شاء الله- بيان تركية أمير المؤمنين علي رضي الله عنه لهم، وهو قودة هؤلاء والمُعظم عندهم. وتجاوز آخرون ذلك فغلبوا في علي وادعوا أنه أحق بالرسالة، وزعموا أن جبريل أمر بأن ينزل بالوحي على عليٍّ ولكنه صرف الوحي إلى محمد ولذلك يقولون: خان الأمين، وصدها عن جبريل الأمين هو جبريل وجبر هو علي؛ بمعنى أن جبريل أنحاز وصرف الرسالة والوحي من جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم . وجاء شيطان آخر فأوقعهم فيما هو أكبر من جعل الرسالة لعلي وهو ادعاء الإلهية فيه، أي أن علياً هو الله وهو المعبود، وقد قيل ذلك في حياة علي رضي الله عنه، وكان أول من قال بذلك هو عبد الله بن سبأ وكان يهودياً دخل في الإسلام زنديقاً ليفسد على المسلمين دينهم وعبادتهم وإسلامهم ، فانخدع به أناس كثير وقال لهم: اسجدوا لعلي فإنه ربكم، فلما خرج عليٌّ مرة سجداً له كما يسجدون في الصلاة ، فسألهم وقال: ما بالكم؟ قالوا: أنت إلهنا. عند ذلك استتابهم فأبوا أن يتوبوا، فحفر لهم أخاديد وأوقد فيها ناراً، ومن لم يتب قذفه في النار وأحرقه، فتمسكوا بعقيدتهم أكثر وقالوا: الآن أيقنا بأنك إله لأنك عذبت بالنار، ولا يعذب بالنار إلا رب النار!! وكانوا يقذفون بأنفسهم في تلك النار ويقولون: { وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى } [طه: 84] فانكر عليهم علي ذلك وحثَّ لهم الأخاديد وجعل يقول: لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجت ناري ودعوت قبيرا وقبيرا هو غلام علي رضي الله عنه. فالحاصل أن هذه العقيدة- وهي اعتقادهم أن علياً هو الله- لم تقتصر على ابن سبأ ومن كان في زمنه بل لا يزالا معتقها إلى الآن في فرقة يقال لهم: القرامطة والباطنية من غلاة الرافضة، يزعمون أن علياً هو الله، وأن محمداً هو الرسول، وأن سلمان هو ملك الوحي، وكانوا من الفرس فغلبوا في سلمان لأنه فارسي منهم . وزاد غلوهم حتى إنهم كانوا يقولون: أشهد أن لا إله إلا حيدرة الأنزع البطين، ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين، ولا مندوب له إلا سلمان ذو القوة المتين. فالحاصل أن أول أمر الرافضة كان تفضيلاً لعلي وبحثاً في فضائله وجمعاً لها، فدخل معهم بعض الجهلة فولدوا أكاذيب وسبوا الصحابة، وقالوا: إن الصحابة أعداء له، ولا يتم حينا لعلي إلا إذا أبغضنا كل الصحابة؛ لأنهم أعداء لعلي وزادت طائفة أخرى فوصل بهم الأمر إلى أن جعلوه أولى بالرسالة، وزادت طائفة أخرى إلى أن جعلوه إلهاً وخالفوا وربا فتعالى الله عن ذلك . والذين يعبدونه الآن لا يقتصرون عند هذه العقيدة، فإنك تسمعهم في المطاف يطوفون بالبيت وهم يدعونهم، وتسمعهم وهم في عرفة التي هي الموقف الأعظم ومعهم كتب قد يبلغ الواحد منها مجلداً كبيراً، ليس فيه إلا دعاء علي ووصفه بأوصاف لا يستحقها إلا الخالق؛ يا علي الذي يملك الخلق والأمر، يا علي الذي يملك النفع والضرب، يا علي الذي يملك العطاء والمنع، يا علي الذي يتصرف في الكون كيف يشاء. وإذا تأملت تلك الأوصاف فإذا هي متفرعة عن عقيدة الذين يزعمون أنه هو الله. فالحاصل أن المسلمين اهتموا بذكر فضائل الصحابة ليردوا بذلك عقيدة الرافضة ونحوهم. والرافضة يسمون أنفسهم شيعة، يعني أنهم شابعوا علياً أي أنهم أشباعه وأعوانه وأحبابه وأنصاره، ولكن أهل السنة والجماعة يسمونهم رافضة، فأهل الإسلام قلوبهم سليمة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تعالى مدحهم بذلك في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ } [الحشر:10]. فطلبوا من ربهم ألا يجعل في قلوبهم غلاً لأهل الإيمان، ومن المعلوم أن أولى الناس بالإيمان من هذه الأمة هم الصحابة لسبقهم وفضيلتهم، فكل من جاء بعدهم داعياً لهم فهو من أهل هذه الآية، ومن جاء بعدهم مكفراً لهم فليس من أهل هذه الآية، ولا يستحق التناء ولا المدح المذكور في هذه الآية . الرافضة يزعمون أن الصحابة قد خانوا في القرآن، وقد كتموا منه، وأخفوا منه شيئاً كثيراً، أخفوا أكثر من ثلثه، وسترنا فضائل أهل البيت وفضائل علي رضي الله عنه. وكل ذلك كذب؛ لأن علياً رضي الله عنه إنما كان يصلي بهذا القرآن، وحفظ عنه الصحابة القرآن، فكيف يكون هناك قرآن لم يقرأه وهو يعرفه. كذلك المسلمون يحفظون وصية النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه حيث أوصاهم بأصحابه خيراً، ثبت أن عبد الرحمن بن عوف كان من السابقين الأولين، وخالد بن الوليد كان من الذين أسلموا متأخرين في سنة ثمان، تَسَابُحًا فقال النبي صلى الله عليه وسلم لخالد { لا تسبوا أصحابي- يعني القدماء- فوالذي نفسي بيده، لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدُّ أحدهم ولا نصيفه } أخرجه البخاري برقم (3673) في فضائل الصحابة، باب: "قول النبي صلى الله عليه وسلم "لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم برقم (2540) في فضائل الصحابة، باب: (تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم ". عن أبي هريرة رضي الله عنه. والمد هو ربع الصاع، والنصف يعني نصف المد؛ يعني لو أنفقتم ذهباً مثل جبل أحد الذي يضرب به المثل في الكبر، أنفقتموه في سبيل الله، وأنفق أحدكم مداً أو نصف مد من طعام لكان ذلك أفضل؛ وذلك لأنهم تبعوا الرسول في زمن الشدة، وصبروا على البلوى وعلى الأذى، وأنفقوا وهم محتاجون إلى من ينفق عليهم، وتركوا أموالهم وأولادهم وبلادهم لله تعالى، فكيف يقاس بهم غيرهم؟ وهذا أيضاً يلحق به غيرهم، فإن كل الصحابة الذين أسلموا مع الرسول وناصروه لهم فضل الصحة. فالحاصل أن أهل السنة يحفظون وصية النبي صلى الله عليه وسلم هذه لأصحابه، ولذلك فإنهم يعترفون بفضل الصحابة رضي الله عنهم.